المنهج الكيفي I I : الفهم ، التأويل و التفسير في مقاربة الهوية والمجالات الاجتماعية

Qualitative method I I : understanding , interpretation and explanation in the approach of identity and social spaces

أ.د بن عيسى محمد المهدي[1] ، د. بغدادي خيرة [2]
[2.1] جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)
[2.1] كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
[2.1] مخبر " تحول التشكلات الاجتماعية وأثره على الهوية و الفعل في المجتمعات في طريق النمو "

تاريخ الاستلام : 2019/11/23 ؛ تاريخ المراجعة : 03/ 12 /2019 ؛ تاريخ القبول : 2019/12/31

ملخص :

بعدما تعرضنا في الجزء الأول من المقال السابق إلى الأسس العلمية التي تقوم عليها المعرفة السوسيولوجية لكي تتصف بالعلمية وهي أن المعرفة السوسيولوجية عليها أن تقيم القطيعة مع المناهج الكمية التي تعتبر أن موضوع دراستها خارجي عن ذاتية المبحوث وموضوعي ، فان مقاربة الهوية و المجالات الاجتماعية تهدف إلى اجراء قطيعة عملية مع هده المناهج الكلاسيكية التي تقوم على الفصل بين الموضوع و الذات العارفة و تتبني رؤية تقوم على المنهج الكيفي القائم على الفهم و التأويل و التفسير و لدلك سنحاول في هدا المقال أن نبين الطريقة و الأسس التي تتبناها وتشتغل بها من اجل تحقيق دلك ، انطلاقا من الافتراضات العلمية التي تقوم عليها هذه المقاربة لتحدد منهجيا كل مستوى من مستويات الفهم في كل مرحلة من مراحلها اعتمادا على المنهج الكيفي لتصل إلى التأويل و التفسير .

الكلمات المفتاحية : المنهج الكيفي ، الفهم ، التأويل و التفسير ، الوعي العلمي ، النمطية المنهجية ، الاغتراب الواعي الهوية و المجالات الاجتماعية

Abstract

After we were exposed in the first part of the previous article to the scientific foundations of sociological knowledge in order to be characterized by scientific, namely, that sociological knowledge must assess the break with the quantitative approaches that consider that the subject of study is external to the subjectivity of the subject and objectively, the approach of identity and social space aim to **make** a break with this **classical methods**, which is based on the separation between the subject and the knowledge and adopts a vision based on the qualitative approach based on understanding, interpretation and explanation, we for that we will try in this article to show the **ways** and foundations adopted and operated by in order to

Achieve this rules of engagement, based on scientific assumptions underlying this approach to systematically identify each level of understanding at each stage, based on the approach to reach the qualitative method

Keywords : the qualitative method, understanding; Interpretation and explanation, scientific awareness methodological stereotype, conscious alienation, identity and social spaces

تمهيد :

تدرس مقاربة الهوية والمجالات الاجتماعية المجالات الاجتماعية ، بصفتها مجالات تفاعلية فهي تنطلق من **المجال الاجتماعي كوحدة للتحليل السوسيولوجي** بهدف فهم طبيعة النموذج الثقافي الذي يحكم التفاعلات التي تتم في هذه المجالات الاجتماعية وبذلك تتجاوز المفاهيم السوسيولوجية الكلاسيكية للمجتمع كبنية " **فمفهوم المجال يتجاوز هذه المفاهيم مثل المجتمع ، الضمير الجمعي النسق الاجتماعي لأنه في اعتقادنا أن مضمون هذا المفهوم عملي يتحدد من طرف المبحوث نفسه فالمبحوث هو الذي يحدد المجال أو المجالات التي يتفاعل فيها فعليا ويحدد كذلك شدة ومدة التفاعل** فمن خلال تحديد أو فهم النموذج الثقافي لهذا المجال ، تتحدد الهوية التي يعمل المبحوث على إنتاجها وإعادة إنتاجها من خلال ممارساته وتفاعلاته اليومية في هذا المجال الاجتماعي ،ففكرة المجتمع عند علماء الاجتماع الكلاسيكيين الوظيفيين خاصة ، هي التي تحدد علاقة الفرد بذاته و بالآخرين وهي تقوم على الحتمية الاجتماعية والثقافية وأن هذا الفرد هو مجرد مستدمج للقيم التي يضعها النسق الاجتماعي وهو الذي يحرك الفرد و تمثلاته للعالم ،كما أن الحتميات المادية عند الماركسيين تعتقد بان الفرد هو مجرد مستهلك وأن وجوده في طبقة اجتماعية ما هو الذي يحدد وعيه و ذاته كفرد و بالتالي فان أي تفسير للواقع الاجتماعي هو مرتبط بأسبقية البنية على الفرد إلا أن قراءتنا للواقع الاجتماعي والملاحظة اليومية بينت لنا أن المجتمع كمفهوم افتراضي لم يعد قادرا على فهم متغيرات الواقع الجديد بكل مؤشراته وبالتالي ارتأينا أن **الدراسة السوسيولوجية تأخذ المجال الاجتماعي كوحدة للتحليل بالمفهوم الذي ذكرناه سابقا .**

1.I- المجالات الاجتماعية بأية مقاربة منهجية ؟

تبين لنا من خلال تتبعنا لمضمون الإنتاج السوسيولوجي، أنه مازال **خاضعا لنمطية منهجية مبنية مسبقا من طرف الباحث أي نمطية وأسبقية الإجراءات المنهجية** على موضوع المعرفة مما يجعله غير قادر على إنتاج معرفة علمية أصيلة ، جديدة كون هذه النمطية جعلت الباحث مغتربا للأدوات المنهجية (المنهج والأداة) عوض أن يكون **واعيا** بموضوع بحثه و بالأدوات المنهجية التي تناسب موضوعه وفي نفس الوقت يكون هذا الباحث **مندمجا كليا في موضوع بحثه بمعنى أن يقترن وعيه العلمي باغترابه أي أن يكون واعيا وعيا علميا بأن يتحلى الباحث باليقظة الابستمولوجية والنظرية** التي تتجاوز العوائق لتي يمكن أن تحجب المعرفة على الباحث .

ووعيا منهجيا أي بمعنى انه لا يسقط في النمطية المنهجية و في نفس الوقت يكون مندمجا كليا في موضوع بحثه و هذا ما نطلق عليه من وجهة نظرنا **اقتران الوعي العلمي بالاغتراب** ، فالواقع السوسيولوجي المعاصر نجد أنه تجاوز **نمطية الفكر السوسيولوجي الكلاسيكي** و تحرر من الحتميات الاجتماعية والثقافية والمادية ، بحيث انه كسر الأطر المعرفية التقليدية التي كانت تؤطره و أنتج أشكال معرفية جديدة ويظهر ذلك في المنظورات **السوسيولوجية المعاصرة التي تنطلق في تصورها من الفرد كذات له القدرة على إنتاج تفاعلاته في المجالات الاجتماعية** وليس كفرد تابع آليا للبنية والظاهرة و العلاقة و النسق الاجتماعي ،مما يتبين أن الفكر السوسيولوجي قد تحرر من الحتميات التي تقيد الباحث وتجعله غير قادر على انتاج معرفة جديدة تنطلق من أطروحات الفعل والتفاعل ، فالعلاقة بين المجال و الفرد كانت علاقة حتمية، في الأطروحات الكلاسيكية بينما في الأطروحات المعاصرة فان هذه العلاقة هي من تشكيل المبحوث انطلاقا من تفاعلاته بعكس المدرسة الوضعية التي ترى أن الظاهرة الاجتماعية تخضع للقوانين ومن ثم جاءت هذه المقاربة **لتحرر الباحث من هذه الحتميات المفروضة مسبقا** ، من جهة أخرى **تكشف لنا هذه المقاربة عن التقسيمات الموجودة في المجال سواء العمراني أو الاجتماعي وكيف تشكلت المجالات وهويتها** ، فهي تنطلق في تحليلها من تحديد طبيعة المجالات العمرانية الاجتماعية وخصوصيتها وتنطلق مما هو كائن أي من التفاعلات اللحظية للأفراد ، فما هي الافتراضات التي تقوم عليها هذه المقاربة ؟

I .2- الافتراضات العلمية التي تقوم عليها مقاربة الهوية والمجالات الاجتماعية :

1.الافتراض الأول : نعتقد أن المجتمع كمفهوم كلاسيكي تجاوزه الواقع الاجتماعي الحالي ، حيث أصبح هدا الأخير **يتشكل من مجالات اجتماعية متعددة و متنوعة يتفاعل فيها الفرد المتعدد الذي هو منتوج هذه المجالات وناتج لها** في نفس الوقت .

2. الافتراض الثاني : أن هده المجالات الاجتماعية يحكمها نموذج ثقافي يتشكل من معاني ورموز التي أنتجها المتفاعلين و التي **على أساسها يتفاعلون ويعيدون انتاجها و بذلك يضمن هذا المجال استمراريته .**

3.الافتراض الثالث : النموذج الثقافي الذي يحكم هذه المجالات الاجتماعية يطبع هويات الأفراد المتفاعلين فيه بنفس المعاني و الرموز التي يتضمنها هدا النموذج و ذلك **حسب درجة انتماء و اندماج هؤلاء الأفراد المتفاعلين في المجال الاجتماعي من عدمه .**

4.الافتراض الرابع : الهوية المشكلة في المجال الاجتماعي تعمل على اعادة إنتاج هدا المجال بأشكال متعددة و متنوعة.

هذه الافتراضات التي تقوم عليها هذه المقاربة لابد أن تتحول عمليا من مضمونها المفاهيمي لتستنطق الواقع الاجتماعي بمتغيراته و مؤشراته و يتطلب ذلك إجراءات و أسس منهجية تمكننا من فهم هذا الواقع وعليه هل توجد مقاربة منهجية جديدة يمكنها أن ترقى إلاختراق الحقول المعرفية النمطية التي تنتج العوائق أمام الباحثوتشل قدراته الفكرية ،أم أن الفكر السوسيولوجي تخلص من حتمية هذه النمطية السائدة في الفكر السوسيولوجي ؟

I.3- الأسس المنهجية التي تقوم عليها مقاربة الهوية والمجالات الاجتماعية : تنطلق كل مقاربة سوسيولوجية من **منهجية محددة تقارب بها الواقع الاجتماعي انطلاقا من جهازها المفاهيمي** فالمنهج الوضعي مثلا الذي وضع أسسه اوغست كونت Auguste conte و طوره دوركايم Durkeim في دراسته للمجتمع ، استخدم المنهج الوضعي القائم على التفسير السببي للظواهر الاجتماعية الذي يقوم على ايجاد العلاقة الحتمية الموجودة بين المتغير المستقل و المتغير التابع باستعمال المنهج الكمي والتي قد تكون هذه العلاقة **مجرد علاقة احصائية و ليست علاقة سببية** و الباحث يأخذها بسذاجة على أنها سبب ونتيجة وعلى العموم فان المنهج الوضعي والوظيفية درسا الواقع الموضوعي و ليس الإنسان **كذات ووعاء تحركه المعاني الذاتية التي يعطيها لذاته وللموضوعات والوقائع المحيطة به** وعليه فان الافتراضات التي ننطلق منها في مقاربتنا تطرح أمامنا طبيعة المقاربة المنهجية التي يمكن أن نفهم بها الواقع الاجتماعي (المجالات الاجتماعية انطلاقا من جهازنا المفهوماتي الذي تبنيناه ،لأنه في اعتقادنا لا يمكن تأسيس معرفة سوسيولوجية تتصف بالعلمية ، **انطلاقا من معايير منهجية مبنية مسبقا من طرف الباحث** باعتماده على مجرد احصائيات كمية تحصل عليها الباحث ليبني على أساسها نتائج و يعتقد بأنه حقق العلمية لان ذلك **لا يمكن أن يقدم لنا فهما علميا عميقا لمضمون التفاعلات الاجتماعية في المجالات الاجتماعية و مضمون النموذج الثقافي الذي يتشكل في هذه المجالات الاجتماعية التي تؤطر أو تحكم تفاعلات الأفراد و أفعالهم .**

" الوضعية اختزلت العلم في مجرد علم الوقائع و أنها نفت الأسئلة المتعلقة بالإنسان من قاموسها فهي تشيئ الإنسان وتموضعه وتجرده من إنسانيته **(محمد ايت بود 2017)**

فالواقع الاجتماعي يتضمن حالات غير متجانسة من حيث المعاني التي ينتجها الأفراد حول الواقع الاجتماعي ، كما أن هذا الأخير غير معطى ويتطلب الغوص في ذاتية المبحوث لاستخراج الموضوعي من الذاتي ، ذلك **أن الموضوعية تتحقق في هذا المنهج كلما يغوص الباحث في ذاتية المبحوث** وهذا يتطلب مناهج فعالة قادرة على كشف هذه المعاني التي تتضمنها هذه الذاتية وهذه المناهج تتمثل في **المنهج الكيفي** الذي يقوم على **فهم هذه المعاني** و الذي يمكن الباحث من الغوص في ذاتية المبحوث و من **هنا فإننا ندرس مضمون المعاني التي يحملها الفرد في سياق مجاله الاجتماعي وما يترتب على ذلك من هويات فردية وجماعية التي يتفاعل بها** لذلك فان تطبيق هذه المقاربة يتطلب أسس علمية محددة .

4.I الفهم في مقاربة الهوية و المجالات الاجتماعية : the understanding

تقوم مقاربة الهوية و المجالات الاجتماعية على الإبداع العلمي للباحث في كل خطوات البحث العلمي و ليس على النمطية المنهجية مما يمكن للباحث أن ينتج معارف جديدة هي منتوج التفكير اللحظي للباحث في علاقته بموضوع بحثه وعليه فهذه المقاربة تتيح للباحث حرية التفكير لان الواقع الاجتماعي ديناميكي غير ثابت و ينتج متغيرات ومؤشرات جديدة في كل لحظة ، لذلك يتطلب من الباحث الوقوف على هذه العوائق والمتغيرات في كل مستوياتها وديناميا تها و ليس تجميدها أو تعليبها في قواعد منهجية جاهزة و منمطة مسبقا ، فهي عوض أن تستنطق الواقع الديناميكي نجد أنها تعمل على بتره و القفز اعتباطيا على عوائقه دون الوقوف عندها و البحث عن الأدوات و الطرق والمناهج التي تمكنه من الغوص فيها و فهمها و استنطاقها ثم تأويلها وتفسيرها و السؤال الذي يجب أن يطرحه الباحث على نفسه في هذه المرحلة ، هو ماذا أريد أن أفهم في موضوعي ؟ و يعني ذلك انه يجب على الباحث أن يحدد مستويات الفهم التي يريد أن يفهمها في موضوعه أي تحديد وحدة التحليل التي تشكل مركز فهمه في موضوع المعرفة ويحدد ما الهدف من فهمه ، ذلك لان الفهم يختلف من حيث أهدافه وطبيعته هل هو الفهم من أجل الفهم و هذا عبث لا فائدة من ورائه ،لأنه لا ينطلق من هدف محدد ، أم أنه فهم من أجل وجود الفرد و هذا النوع من الفهم هو فهم هدفه غائي لتحقيق هدف شخصي ، أم انه فهم من أجل النقد و تصحيح الوعي الزائف ، أي انه يقوم على نقد الآخرين و تقييمهم انطلاقا من ضعف ذاتي ، **فهم اخر هو فهم من أجل تحقيق متطلبات الذات التاريخية و هذا الفهم هو الفهم الذي ينطلق من أهداف قوامها الإبداع العلمي للذات العارفة وتأسيس معرفة علمية جديدة تتجاوز الاغتراب و الحتميات المفروضة على الذات العارفة .** إذا كانت هذه المقاربة على المستوى النظري تنطلق في فهمها للواقع الاجتماعي من المعاني التي يختزنها الفرد و التي تعمل على تشكيل هويته التي تتمظهر في أفعاله و تفاعلاته الاجتماعية بصفته منتجا لمجالاته الاجتماعية التفاعلية ومنتوج لها ، **فنحن في مقاربتنا نريد أن نفهم المعاني التي تحكم أفعال و تفاعلات الأفراد في المجالات الاجتماعية المتعددة ويعملون على إنتاجها أو اعادة إنتاجها وأصبحت تطبع هوياتهم في علاقاتهم بالمجالات التفاعلية و كذلك في علاقاتهم بمجالاتهم العمرانية** ،لأننا نعتقد أن **الفرد يقوم بممارساته وفق ما تعنيه له الموضوعات المختلفة المطروحة أمامه سواء كانت موضوعات مجردة أو ممارسة أو فعل اتجاه ذاته أو تجاه الآخرين أو تجاه المجال العمراني المتواجد فيه أو الموضوعات المجردة (بن عيسى محمد المهدي ص 9) .**

وانطلاقا مما سبق فان هذه المقاربة تعمل على فهم السياق الموضوعي و الخارجي انطلاقا من المعاني الذاتية التي يعطيها المبحوث لهذا السياق الموضوعي الخارجي وعلى هذا الأساس ، فالباحث عليه أن يقوم بعملية توليد المعاني الذاتية التي يعطيها المبحوث لمختلف الموضوعات الخارجية سواء كانت اجتماعية أو مادية والتي على أساسها يتفاعل ويقوم بأفعاله تجاه ذاته و تجاه الآخرين الذين يتفاعلون معه وكذا تجاه المجال العمراني المتواجد فيه **(بن عيسى محمد المهدي 2013) .**

مثلا في موضوع الفهم " **الوصم الاجتماعي** " الذي " **هو الكيفية التي يعامله بها الآخرون حيث أشار إلى تلك الكيفية وما يصاحبها من عمليات مرحلية بما يناسبها من تأثير وتأثر متبادل مشترك ' إنما يؤدي إلى تأكيد الشر والإثم أو المبالغة في تصويرها كما يلي : تتصف عملية صنع المجرم بأنها عملية تحتوي على عناصر تشمل وضع علامات ، وألقاب ،وتعريفات وفعل ، وشرح ، تقوم الجماعة بإلصاقها على الشخص ،(** مصطفى عبد المجيد كاره 1987)

موضوع الفهم " **تمثلات العائلة للموصوم اجتماعيا بالإجرام** " انطلقنا في موضوع الفهم من افتراض مؤداه أن العائلة كمجال اجتماعي تفاعلي تنتج معاني و رموز نحو الموصوم اجتماعيا بالإجرام فتنتج هذه المعاني لدى الموصوم هوية قد تكون سابقة أو هوية جديدة

هنا لدينا ثلاثة مستويات من الفهم تنطلق منها :

-المستوى الأول : نريد فهم طبيعة العلاقة بين الموصوم و مجال التفاعل الأصلي له **(ملمح المجال)**

- المستوى الثاني : النموذج الثقافي للمجال الاجتماعي ⟸ هم المعاني التي تنتجها العائلة حول الموصوم

-المستوى الثالث : نريد أن نفهم طبيعة تفاعلات الموصوم في المجال الاجتماعي الذي تحكمه المعاني التي ينتجها هذا المجال ⟸ يتفاعل كفاعل منتج للمعاني ، موزع للمعاني أم مستهلك لها .

-المستوى الرابع من الفهم : الأفعال و الهوية المترتبة عن هذه التفاعلات (مغتربة للمجالات الأخرى و منسحبة من مجال التفاعل .

لان الفهم كما يقول الجرجاني في "تعريفاته " تصور المعنى من لفظ المخاطب أو هو حسن تصور المعنى ، فالفهم مرادف للإدراك و لقوة الذهن التي " استعداد تام لإدراك العلوم و المعارف بالفكر و جودة الفهم ، صحة الانتقال من الملزومات إلى اللوازم " (علي محمود المحمداوي 2013)

5.I **-من الفهم إلى التأويل the interpretation :** بعدما ينتهي الباحث من استخراج المعرفة الخام و المعاني الذاتية التي يعطيها المبحوث للسياق الموضوعي والخارجي الذي يتفاعل فيه عليه أن يشتغل عليها بأدواته العلمية وهذا يتطلب منه **اليقظة الابستمولوجية و النظرية** التي أشرنا إليها سابقا أي باستعمال العمليات الذهنية التي يستقيها من تراثه السوسيولوجي ومن توجهاته النظرية **بوعي علمي** حتى تصبح هذه المعرفة مقروءة علميا لدى المجمع العلمي الذي ينتمي إليه ، لان **العلمية the scientificness** لا تكمن في **التكميم الإحصائي** وإنما العلمية تحكمها مقاييس محددة حسب الابستمولوجي العالمي **كارل بوبر Karl Popper** تتمثل فيما يلي :

- **أولا :** تقييم ترابط النسق النظري
- **ثانيا** : اظهار الشكل المنطقي للنظرية
- **ثالثا**: المقارنة مع نظرية أخرى
- **رابعا** : الاختبارات الامبيريقية (JUIGNET, **Patrick 2015**)

ومن هذه الأدوات التي يستخدمها الباحث مثلا **وحدة التحليل ، المفهوم ، المتغيرات ، المؤشرات** الخ كما يجب عليه أن يقوم بنحت هذه المعرفة وتصنيفها تصنيفا منطقيا و النحت و التصنيف يطلق عليه اصطلاحا بعملية " **التأويل** " فالتأويل بالنسبة **لأنتوني جيدنز Antony Giddens** كما يعرفه " إن خطط التأويل هي أنماط التمثل والتصنيف المتأصلة في خزانات المعرفة للفاعلين والذين يستخدمونها بطريقة تفكيرية في اتصالاتهم " **(Giddens, 1987 : 79)**

انطلاقا من هنا فان التأويل هو عملية تأويل مخزون المعاني التي تم استخراجها من المبحوث إلى لغة علمية يفهمها المتخصص ،فمرحلة التأويل بالنسبة لنا كباحثين في علم الاجتماع تعني فهم المعاني انطلاقا من التراث السوسيولوجي والمقارباتي لمقولاتنا العلمية و المنهجية **وهي المجال العمراني – المجال الاجتماعي- النموذج الثقافي– الهوية – والمعاني الذاتية** وهي الربط المنطقي و الدقيق بين الأبعاد والمتغيرات و المؤشرات للمعاني المستخرجة والتي فككها الباحث واستقاها من المبحوث باستعمال التراث السوسيولوجي ، فالتأويل هو عملية الانتقال من لغة المبحوث المفهومة من طرف الباحث التي استنبط و استنتج فهما حولها و تحويلها إلى لغة متخصصة انطلاقا من جهاز مفاهيمي متخصص .

" فعوضا عن أن تكون مفاهيم علم الاجتماع قابلة لان تمتص في ضوء المفاهيم الدارجة ،فان واقع الحال هو أن الباحث الاجتماعي القائم بالملاحظة يجب أن يكون قادرا أولا على أن يفهم هذه المفاهيم الدارجة ، أي أن ينفذ تأويليا إلى شكل الحياة التي يأمل في تحليل ملامحها أو تفسيرها " (Antony Giddens 1993:277) .

فعملية التأويل حسب **جيدنز Giddens** تتطلب من الباحث القدرة على فهم لغة المبحوث ليتمكن من تأويل المعاني الكامنة في لغته تأويلا علميا أي بلغته المتخصصة ،كما اشرنا إليه سابقا لان مقاييس العلمية تقتضي تقييم ترابط النسق النظري و اظهار الشكل المنطقي للنظرية ومقارنتها بنظرية أخرى ،حتى لا يكون هذا الجهاز المفهوماتي جهازا اعتباطيا

وساذجا و بعيدا كل البعد عن التفكير العلمي ،لذلك لا بد من هذه الخطوات الهامة التي أشرنا إليها و بالتالي على الباحث ان تكون له القدرة و الكفاءة العالية على فهم لغة المبحوث جيدا بكل معانيها و رموزها و بالدقة المطلوبة وأن يكون متمكنا من التراث السوسيولوجي العلمي حتى يمكنه من اجراء الخطوات التي ذكرها كارل بوبر **Karl Poper** للوصول إلى العلمية ، لأنه دون هذين القدرتين لا يمكن أن ينتج الباحث معرفة تتصف بالعلمية بل تبقى مجرد ركام معرفي كما اشرنا إليه في المقال الأول .

ففي المثال الذي طرحناه سابقا حول موضوع تمثلات العائلة للموصوم و الذي فهمنا فيه المعاني التي تحملها العائلة كمجال حول الموصوم تخص تأويل طبيعة العلاقة بين الفرد و مجاله :

- المستوى الأول من التأويل : يخص البحث في طبيعة العلاقة بين الفرد و مجاله الاجتماعي انطلاقا من الملاحظة والمقابلة ،فعندما تتوصل الذات العارفة بأن هذه العلاقة هي علاقة فرد بمجال اجتماعي أصلي أو مجال اجتماعي ثانوي وعندما تصل إلى هذه اللغة فإنها تكون قد **أولت ما فهمته بلغة سوسيولوجية متخصصة .**

- المستوى الثاني من التأويل : عندما نصل إلى فهم العناصر التي تؤطر و تعمل على إنتاج و اعادة انتاج هذا المجال الاجتماعي بكل مكوناته والتي على أساسها يتفاعل الأفراد الذين يشكلون المجال نصل إلى تأويل ما فهمناه على انه معاني مشتركة تحكم التفاعلات والأفعال في هذا المجال وفي نفس الوقت تعمل على اعادة انتاج هذا المجال على أنها هي **النموذج الثقافي للمجال** و هنا نكون قد انتقلنا في نفس الوقت تزامنا من عملية الفهم إلى التأويل لان ما فهمناه أولناه باستعمال الأدوات المنهجية ،أولناه على أنه النموذج الثقافي **و هذا يتطلب الدقة في الفهم** و هي المرحلة التي أشار إليها كارل بوبر **Karl Popper** وهي **مرحلة الاختبارات الامبيريقية لعناصر الفهم التي استقيناها من ذاتية المبحوث .**

- المستوى الثالث من التأويل : بعدما نغوص في ذاتية المبحوث عن طريق أدوات البحث (المقابلة) و نستخرج منه الأشياء التي تحكم و تؤطر أفعاله و ممارساته اليومية اتجاه الآخرين في المجال الاجتماعي ،حتى نصل بذلك إلى **تحديد درجات التفاعل لتأويل مستويات هذا التفاعل وطبيعته** بمعنى أن الفرد المبحوث **مندمج أو منسحب أو في نزاع أو في تشتت بين نموذجين ثقافيين الأصلي و نموذج مغاير) الخ .**

- المستوى الرابع من التأويل الأفعال و الهوية المترتبة : بعدما قمنا عن طريق الأدوات المنهجية الامبيريقية بالغوص في ذاتية المبحوث من أجل فهم ما هي العناصر التي تؤطر أفعاله وممارساته في علاقته بالمجال هنا نحدد طبيعة المعاني التي أساسها يتفاعل في المجال ، بحيث عندما تصبح هذه المعاني مستقرة في تفاعلاته في المجال **نؤول على أن هذه تشكل الهوية الذاتية لهذا الفرد بهذا المجال** (انسجام ، نزاع الخ)

و الهوية في مفهومنا هي : " هي المحصلة لمختلف المعاني التي يرسمها الفرد عن ذاته انطلاقا من خبراته البيوغرافية و اللحظية و التي ينطلق منها في اقامة علاقات تفاعلية مع الآخر على انه ذات مختلفة عنه للقيام بأفعاله و بناء استيراتيجياته الخاصة هذا لأننا انتقلنا في دراستنا للهوية من وحدة التحليل الكلية الى الفرد المتعدد لان الفرد المتعدد أصبح منتوج مجالات تفاعل متعددة و متنوعة و بالتالي الانسجام في هذه الوحدة لا يأتي من خارج الفرد و خارج هويته بل يأتي من قدرة الفرد على اختيار المعاني و التفاعلات التي تحقق له هذه الوحدة و هذا الانسجام " **(بن عيسى محمد المهدي ص 10) .** و التأويل يطرح أمامنا الإشكالات التالية :

1- المسالة الأولى : تتعلق بعلاقة الباحث بالتراث السوسيولوجي و الجهاز المفهوماتي و الاصطلاحي الذي اختاره الباحث لتفكيك وتأويل المادة التي اغترفها ،فعلاقة الباحث بالتراث السوسيولوجي تعني انه ينطلق من أية مقاربة نظرية أو جهاز مفهوماتي واصطلاحي يؤول به ما فهمه من المبحوث وعلى أي أساس يختار مفاهيم معينة دون أخرى لتفكيك الواقع الاجتماعي المدروس وتأويل المادة التي اغترفها وهنا تتدخل **الذاتية العلمية** بما تحمله من رصيد علمي نظري ومنهجي خبراتي ، فإذا كان الباحث غير مطلع وملم بالتراث العلمي المتخصص أي لديه مشكل في قدراته العلمية فنحته يكون فاشل

ومشوه بعد القيام بعملية التأويل و إذا كان التأويل يطرح أمامنا اشكالية المقاربة النظرية ،فان الإشكال ليس هنا بل الإشكال الذي يطرح هنا هو هل **الباحث واعي بالتراث السوسيولوجي وطبيعة اختياره لنظرية دون أخرى ؟**

2-**المسألة الثانية** : تتعلق بعلاقة الباحث بالتراث السوسيولوجي والمقارباتي السابق عن موضوع الفهم أي التأويلات العلمية السابقة حول هذا الموضوع وهنا **لا بد على الباحث أن يكون واعي علميا كل الوعي بالمعوقات التي يمكن أن يسقط فيها و تحجب عنه القدرة على انتاج تأويلات جديدة على أنقاض التأويلات السابقة عن موضوع الفهم** أي التأويلات العلمية السابقة حول هذا الموضوع و هنا وعيه لا بد أن يكون في نطاق **عملية القطع الابستمولوجي والنظري مع التأويلات العلمية السابقة التي لم تعد قادرة على إنتاج تأويلات جديدة تساير التغيرات التي طرأت على الواقع المدروس بهدف إنتاج معرفة علمية جديدة** لان العلم كما هو معروف : يتميز بصفة التطور التراكمي .

إن الإجابة على هذه المسألة **تتعلق بتحديد العوائق الاجتماعية و الثقافية و العلمية و الموارد التي تحدد أفعال الذات العارفة أمام موضوع الفهم** وهذا يطرح أمامنا كباحثين مسالة **العلاقة بين الوعي العلمي من جهة والاغتراب** من جهة أخرى و الوعي كما هو معروف عند الماركسيين التقليديين هو نتيجة حتمية وآلية مرتبطة بالعوامل الموضوعية والمادية التي يوجد فيها الفرد **(LENORMAND et Anthony MANICKI5 2009)** أما في الماركسية المحدثة فان الوعي هو منتوج البنية الفوقية أي الايدولوجيا و الأفكار سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو سياسية و **حتى علمية** وهذه البنية الفوقية قد تمارس على الباحث هيمنة و تبعية توقعه في **الحتمية النمطية** التي أشرنا إليها سابقا إذا كان **غير مدرك وواعي** وعليه **فالوعي العلمي في مفهومنا ومقاربتنا هو الحالة التي تكون فيها الذات العارفة مدركة للمعاني التي تنتجها ومدركة لاختياراتها في مجالها العلمي ومدركة كذلك للعوائق التي طرحناها في المسألتين السابقتين المتعلقتين بإشكالية التأويل في المعرفة السوسيولوجية** و انطلاقا مما سبق **إذا كان الوعي العلمي هو ادراك الذات العارفة للمعاني باستخدام الفكر النقدي** ،فان **الاغتراب** بمقابل ذلك كما تراه الماركسية هو 'انفصال بين العامل و ما ينتجه وانفصال بين حالة الإنسان الواقعية و ما يجب أن تكون عليه وهو انفصال بينه و بين الظروف المحيطة به و التي تسبب له الإحباط و تتناقض مع جوهره **(Karl Marx 1964 p 106)**

اذن الاغتراب هو حالة انفصال بين المنتج للنشاط والعمل و بين نشاطه أي عمله ، كونه ينتج هذا النشاط و لكنه لا يمتلك القدرة على امتلاك وسائل هذا النشاط ، فالاغتراب يرتبط هنا بالعوامل المادية التي تنتج فصل بين الفرد و العوامل الموضوعية .

أما في مفهومنا فالاغتراب هو : " **الحالة التي تمارس على الفرد الحتميات و العوائق التي تمنعه من تحقيق مشروعه " أي انه انفصال الذات العارفة عن موضوع معرفتها و اغترابها للعوائق و الحتميات المعرفية (النظرية و المنهجية) أو اغتراب للحاجة النفعية (بن عيسى محمد المهدي)**

وإذا كان الاغتراب حسب هذا التعريف هو مجمل العوائق و الحتميات التي تقف دون تحقيق الفرد لمشروعه و حالة انفصال بين الذات العارفة وموضوعها ، كونها منتوج العوائق التي تعترض الذات العارفة وتمنعها دون تحقيق معرفة تتصف بالعلمية هي عوائق متعددة ومتنوعة تنتهي بها إلى الاغتراب فان الاغتراب يظهر في حالات و أشكال متعددة ومتنوعة :

1- اغتراب الذات العارفة للعوائق العلمية ، مثل اغترابها للأدوات المنهجية و النظرية **بدون وعي علمي،** بحيث أن الذات العارفة تغترب للأداة والمنهج أو النظرية في تأويلاتها العلمية ، اعتقادا منها أن ذلك يحقق لها الموضوعية العلمية في إنتاج المعرفة العلمية و هذا يؤدي بها إلى التيه والتشتت .

2-**اغتراب الذات العارفة للايدولوجيا** ، حيث أن الذات العارفة تعيد إنتاج تأويلات المعرفة السابقة دون تقديم أي اضاقة علمية جديدة وكأن الواقع المدروس بقي محنطا و لم يطرأ عليه تغيير فتصبح هذه التأويلات مجرد اسقاط لقناعات شخصية

منفصلة عن الواقع المدروس و كأنها **أنتجت إيديولوجيا حول موضوع فهمها و ليست بحقائق تتصف بالعلمية في انتاجها العلمي** كما ذكر **ابن خلدون في قواعد المنهج** " التشيع للآراء و المذاهب بحيث أن النفس إذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة و كان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص ..." **(حسن الساعاتي (1981)**

3- اغتراب الذات العارفة للثقافة الاجتماعية السائدة ، تقع الذات العارفة في التفسيرات الاجتماعية التي يمليها عليها المجال الاجتماعي مما يؤدي بها إلى الخضوع لقوى أخرى غيبية و اجتماعية ، فتصبح هذه الاغترابات هي التي تؤطر أفعال الذات العارفة فتحجب عنها الحقيقة العلمية و تقع الذات العارفة في الضحالة و السذاجة الفكرية وتعد هذه من أهم الأخطاء الشائعة في الفكر السوسيولوجي المعاصر التي تتنافى مع القواعد العلمية للمعرفة السوسيولوجية التي تقوم على الفهم من أجل تحقيق نهضة حضارية يقودها الفكر النقدي المستنير الذي يؤسس لمعرفة تتجاوز بها الذات العارفة نمطية واغترابات الحقل العلمي السائد و تتبنى نموذج ثقافي يعمل على إنتاج معرفة يمكن أن يقال عنها أنها تتصف بالعلمية كما رأينا في الجزء الأول من المقال الأول من جهة و من جهة أخرى تتجاوز العوائق المعرفية والإيديولوجية وغيرها من العوائق التي تنتج لها الاغتراب **(بن عيسى محمد ، بغدادي خيرة 2018)** .

فالوعي العلمي والاغتراب هما عمليتان متزامنتان و متلازمتان في الدرجة في علاقة الذات العارفة بموضوع الدراسة ففي مقاربتنا يجب أن **يكون مستوى الوعي العلمي لدى الذات العارفة مساوي لدرجة اغترابها أثناء تفاعلاتها العلمية** ، فلا يجب أن يطغى أحدهما على الآخر في سيرورة العملية البحثية **(الفهم-التأويل-التفسير)**، كما أن الاغتراب لوحده يسقط الباحث في التبعية و السذاجة المعرفية ، أما **الاغتراب الواعي** فهو الحالة التي تكون فيه الذات العارفة في حالة تلاحم و تلاصق مع موضوعها و **في نفس الوقت في حالة وعي كامل بالعوائق المختلفة** التي ذكرناها سابقا وهي مشابهة للحالة التي يطلق عليها **ديكارت Descartes** بالشك المنهجي " **هو العملية الذهنية التي تعمل على اختبار المعرفة ووضعها موضع الشك للوصول إلى اليقين العلمي (ابراهيم مصطفى ابراهيم 2001) .**

اذن الاغتراب الواعي هو الحالة التي تكون فيها الذات العارفة في حالة ذهنية مرتبطة بموضوع بحثها ومندمجة فيه في نفس الوقت في حالة منفصلة عنه ،أي على الباحث أن **يضع المسافة بينه و بين موضوع بحثه حتى يخضعه للنقد والتمحيص** لذلك لا بد أن تكون **اغترابات مساوية لدرجة وعيه العلمي** في علاقته بموضوعه و بالتراث العلمي والنظري و المنهجي .

و بهذا يمكن للذات العارفة أن تنتج فهم تأويلي جديد للمعرفة التي استخرجتها من فهمها للمعاني التي يحملها المبحوث وهنا يمكن للذات العارفة أن تتجاوز التفسيرات العلمية الكلاسيكية و تبني نموذج ثقافي علمي جديد .

6.I - مرحلة التفسير the explanation

وهي المرحلة التي تأتي من التأويل و هي أداة معيارية بمعنى أنها مرحلة تقييمية و الحكم العلمي لا الأخلاقي على هذه الأفعال والتفاعلات و المعاني التي تحكمها أنها وفق المعايير التي تم وضعها من طرف الذات العارفة ، انطلاقا من الأسس والافتراضات التي انطلقت منها في عملية الفهم لتصل إلى التأويل ، ثم التفسير ، **فالتفسير عموما يفيد التحليل والشرح و التبسيط و اقامة الحجة و معرفة الأسباب و التبرير والتعليق و المناقشة والنقد (لزهر عقيبي ص 110)**

و تعني كلمة التفسير بالمنظور الكلاسيكي في مجال علم الاجتماع بصفة خاصة و العلوم الإنسانية بصفة عامة دراسة الظواهر المجتمعية على أساس ارتباطها السببي والعلي .بمعنى دراسة المتغيرات المستقلة و المتغيرات التابعة ضمن رؤية تجريبية و علمية بغية استصدار القوانين و النظريات أو اختزال مجموعة من الظواهر في أقل عدد من العمليات المنطقية الصارمة ومن ثم يعد التفسير من أهم مبادئ الفكر العلمي أو الفكر الوضعي الموضوعي **(جميل حمداوي ص 4)**

و إذا كان التفسير في **المقاربة الوظيفية** يتجه نحو دراسة العلاقة السببية بين المتغير المستقل و المتغير التابع من الخارج فان المعيار عند الوظيفية في الحكم على الفعل يتجلى في كون هذا الفعل منحرف أو غير منحرف و هذا الحكم

يصبح هو المعيار الذي تفسر به الوظيفية طبيعة الفرد المنحرف و هو الفرد الذي يخرج عن معايير النمط أو النسق الاجتماعي ،أما عند الماركسية فمعيار التفسير لديها الذي تحكم به على الفعل يكون من حيث كون هذا الفعل واعي أو غير واعي ومن ثم يتكلم ماركس عن الوعي الطبقي الذي يتشكل لدى العامل و الوعي الطبقي هو الحالة التي ينتج فيها العامل إدراكا حول القضايا التي تحيط به فتنتج له ممارسة من أجل تغيير وضعه الاجتماعي و الاقتصادي ، فالوعي يصبح هو المعيار الذي تحكم به الماركسية على الفعل ، **فوعي الذات العارفة من منظور الماركسية اذن هو إدراك الذات العارفة للتناقضات الاجتماعية والاقتصادية و انتاج معاني حولها من اجل إنتاج ممارسة اجتماعية في المجتمع للقضاء على هذه التناقضات و هذا هو دور المثقف العضوي.(عمار بلحسن ص 38)**

1.التفسير عند ماكس فيبر Max Weber

ينطلق **ماكس فيبر Max Weber** من مرحلة الفهم إلى مرحلة التأويل لينتهي إلى مرحلة التفسير الذي يعني الوقوف على الأسباب التي أدت إلى ظهور والقيام بالفعل أي البحث عن الدوافع الاجتماعية و الموجهات الثقافية التي تشكلت تاريخيا وأصبحت تؤطر أفعال الفرد من خلال المعاني التي ينطوي عليها هذا الفعل ، فالتفسير في اعتقاده **تفسير فهمي و فهم تفسيري للفعل** وقد استخدم فيبر **منهج النموذج المثالي** الذي يعرفه **ماكس فيبر Max Weber** بأنه " بناء فكري لعناصر وأحداث الحياة الاجتماعية الذي يبرز طوعا بعض السمات لفهم أفضل للواقع " **(Jacques Coenen-Huther p531)** .وهو **مجموعة السمات المشتركة و غير المتناقضة التي تميز مرحلة تاريخية** و انطلاقا من هذه السمات يمكننا أن نعرف ما إذا كانت هذه المعاني التي يتضمنها الفعل مطابقة " **(Julien freund 1981)**

فالنموذج المثالي هو أداة لقياس و مقارنة الواقع الامبيريقي ، يشكله الباحث لقياس مجموعة من الخصائص التي يشكلها الباحث تجريديا للشكل العام الذي يمكن أن يميز هذا النمط التنظيمي ،فمثلا ماكس فيبر في وصفه للأشكال التاريخية للسلطة قدم لنا ثلاثة أشكال و أنماط مثالية كل منها يتضمن مجموعة من السمات و الخصائص تحدد الشكل النظري و التجريدي لكل نوع من هذه السلطات .

فالسلطة التقليدية كنموذج مثالي عرفته البشرية في مرحلة تاريخية ما تميزه مجموعة من الخصائص التجريدية عندما ونقارب به واقع اجتماعي في مجال اجتماعي ومكاني هل هي سلطة تقليدية أو سلطة من نوع آخر أو مزيج من أشكال وخصائص هذه السلطات و من ثم نفسر هذا الشكل الواقعي للسلطة بالقياس مع النموذج المثالي التجريدي كأداة معيارية للقياس والتفسير ،نستطيع أن نقيس به مستوى تطابق هذا الواقع مع النموذج المثالي للسلطة ونفس الشيئ بالنسبة للنموذج المثالي للسلطة الكاريزماتية والنموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي في المجتمع الصناعي الحديث . (julien freund (1981: 51,68)

انطلاقا منه فان النموذج المثالي عند **ماكس فيبر** هو المعيار الذي يفسر الفعل الاجتماعي و الحكم عليه بمعيار معين من حيث عقلنة الفعل أو عدم عقلنته و هذا المعيار يكون من خلال مجموعة من السمات التي تتوفر في الفعل العقلاني و التي تصبح هي المعيار الذي يحكم به على هذا الفعل ويرى **ماكس فيبر Max Weber** أن النموذج المثالي يتأسس انطلاقا من محكمين أساسيين ينبغي مراعاتهما عند صياغة النموذج المثالي هما:

1- الإمكانية الموضوعية

2- الكفاية السببية .

حيث تتجسد الإمكانية الموضوعية في عدم تناقض النموذج المثالي مع المعرفة العلمية القائمة والمتيسرة لدى الباحث أمّا الكفاية السببية فتعني أن يكون للعنصر الذي يدخل في بناء النموذج المثالي دلالته السببية بالنسبة للنتيجة التي يتوصل إليها الباحث. **(غني ناصر حسين القريشي 2011)** . لان الإمكانية الموضوعية تعني أن يحقق هذا النموذج قدر كافي من الموضوعية و نفس الشئ بالنسبة للسببية

2. **التفسير عند الان توران Alain Touraine** ، المعيار الذي يفسر به الان توران الفعل الاجتماعي ينطلق من الفعل الذي يمتثل أو لا يمتثل للمعاني التي تحملها الذات التاريخية لمجتمع ما و في مرحلة تاريخية ما ، فمثلا المجتمع الزراعي تحكمه القيم و المعاني المتضمنة في مواصفات الذات التاريخية لذلك المجتمع و نفس الشيء بالنسبة للمجتمع الصناعي و ما بعد الصناعي و عليه فان المعيار الذي يحكم به على الفعل يتمثل في مقارنة و مطابقة هذا الفعل لموجهات المعاني التي تتضمنها الذات التاريخية ، فهذا الفعل هو متخلف أو ممتثل أو متجاوز لمعاني الذات التاريخية بمعنى أن الفعل يقوم بممارسات وفقا لتفاعلات من أجل تغيير المعاني التي تتضمنها الذات التاريخية و الذهاب إلى متطلبات النموذج الثقافي لمرحلة تاريخية لاحقة كما حدث في مرحلة المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي و من تجاوز المجتمع الصناعي إلى ما بعد الصناعي **(1978) Alain Touraine** .

3. **التفسير عند أنتوني جيدنز Antony Giddens :** إذا كان الفهم عنده ينطلق من فهم القاعدة التي تنتج أفعال وتفاعلات الأفراد وعلاقاتهم ببعضهم البعض كما رأينا في الجزء الأول من المقال الأول فينتج من خلالها الأفراد ممارسة اجتماعية و يؤول طبيعة الأفعال و الممارسات الاجتماعية التي أنتجتها القواعد لحظيا فان التفسير عنده يقوم على معيار قدرة الفرد على تشكيل و اعادة تشكيل سلطة يتجاوز بها الفرد العوائق التي تعترضه انطلاقا من الموارد المتاحة أمامه التي تساعده على تجاوز هذه العوائق **(بن عيسى ، بغدادي مرجع سابق ص 991)**

و يظهر ذلك في الحالات التالية التي سنوضحها في هذا المثال :

1.الفرد الواعي بالموارد و لا يستخدمها مثل طالب يعرف أن أسباب نجاحه مرتبط بقدراته العلمية التي يمتلكها و لكنه لا يستخدم هذا المورد فهذا الفرد هو منتج و لا يوزع المعاني التي ينتجها و لا يستهلكها

2.الفرد غير الواعي بها و لا يستخدمها و تفسير هذه الحالة أن هذا الفرد منسحب في مجال التفاعل العلمي

3. الفرد الواعي بها و يستخدمها تفسير هذه الحالة أن هذا الفرد منتج لمعاني النموذج الثقافي و يعمل على استمراريته فهو فاعل

4.فرد يستخدمها بدون وعي منه هذا الفرد رغم استخدامه للموارد المتاحة ،إلا انه مغترب لمجالات اجتماعية أخرى فهو مجرد مستهلك لهذه الموارد و لا ينتج و لا يوزع و لكنه يستهلك .

4 .التفسير في مقاربة الهوية و المجالات الاجتماعية :

التفسير من وجهة نظرنا يختلف عن التفسير في المنهج الوضعي والوظيفية و كل الحتميين بصفة عامة ، **فالتفسير حسب مفهومنا ليس بعملية مباشرة ،بل هو عملية ثالثة تأتي بعد عمليتي الفهم و التأويل** كما بينا سابقا ،كما أن **التفسير بالنسبة لنا لا يبحث على العلاقة السببية أو العلاقة الوظيفية بين المتغير المستقل والمتغير التابع أو الوسيط، بل هو تفسير ينطلق من السؤال لماذا ؟**

أي البحث في إنتاج توصيفات نحكم من خلالها على الأفعال التي ينتجها المبحوث في المجالات الاجتماعية انطلاقا من مؤشرات عملية وهي أداة معيارية نحكم بها على الأفعال أي لماذا الأفعال و التفاعلات التي يقوم بها الأفراد في المجالات الاجتماعية التي يتفاعلون فيها يحكمها و يؤطرها هذا النموذج من المعاني و القيم ؟، لماذا الأفراد المتفاعلون في مجال اجتماعي ما يتفاعلون بهذا الشكل و بهذه الطريقة و غيرها من الأسئلة الأخرى ؟ وعليه فانه بعد فهمنا لهذا النموذج الحامل لهذه المعاني و تأويلها ،نريد أن نصل إلى تقييم أفعال الأفراد و تفاعلاتهم انطلاقا من السمات المشتركة التي تحكم هذه الأفعال ، أي لا بد على الباحث أن يكون على دراية تامة ومعرفة بالنموذج الثقافي الموجه للأفعال في ذلك المجال الاجتماعي ،فإذا كنا نريد أن نفهم في مقاربتنا المعنى المتعدد في المجالات الاجتماعية ،فبأي معيار نحكم على هذا الفعل الذي فهمناه .أي ما المعاني المشتركة التي من خلالها نحكم على الأفعال والتفاعلات و بالتالي " فالتفسير هو توضيح و تبسيط لمجموعة من الدلالات و الأفكار التي تشكل ذلك المعنى " **(لزهر عقيبي) .**

وعليه على الباحث أن يجد المعيار الذي يحكم به على هذا النموذج الذي فهمه وحدده على أنه هو الذي يؤطر أفعال وتفاعلات الأفراد في المجال الاجتماعي محل الدراسة على أنه نموذج ثقافي عقلاني أو غير عقلاني من منظور ماكس فيبر Max weber، منطقي أو غير منطقي من منظور باريتو Pareto ،منحرف أو غير منحرف من منظور الوظيفية واعي أو غير واعي من منظور الماركسية الخ وما إذا كانت هذه الأفعال و التفاعلات تتطابق مع هذا النموذج الحامل للمعاني وتطمح للوصول إلى هذا النموذج أم أنها تتناقض معه ، لذلك نذهب في تحليلنا للفرد في ذاتيته **ليس هو الفرد في سيكولوجية الفرد و لكن الفرد الموجود في السياق العام المشبع بالمعاني سواء كانت تاريخية أو لحظاوية** ،فالسياق العام للمبحوث يختلف عن السياق العام لمرحلة تاريخية واجتماعية لمجتمع ما ، فهذا الأخير (السياق العام لمرحلة تاريخية) يتجاوز السياقات الفردية والجزئية لفرد ما أو لمجموعة ما أو جماعة ما الخ .

5.مستويات التفسير السوسيولوجي في مقاربة الهوية و المجالات الاجتماعية :

يخص التفسير الذي نقوم به في مقاربة الهوية و المجالات الاجتماعية مستويين أساسيين هما **:**

1.العلاقة بين الفرد و المجال الاجتماعي أو المجالات الاجتماعية التي يتفاعل فيها : في هذا المستوى نقصد بطبيعة العلاقة مدة وشدة التفاعل في المجال ،أما مستوى العلاقة نقصد بها الفعل أي طبيعة فعل الفرد في المجال ، أي هل الفعل الذي يقوم به الفرد هو فعل **هامشي منسحب غير مؤثر** تجاه الجماعة التي يتفاعل معها في هذا المجال ، أم أنه فعل مؤثر أي **فاعل** يرقى إلى مستوى إنتاج معاني ورموز تعمل على إنتاج استمرارية واعادة إنتاج النموذج الثقافي الذي يحكم هذا المجال و يوزعها بمعنى لديه سلطة في المجال و السلطة هنا ليس بالمنظور الكلاسيكي للسلطة و إنما بمنظور أن المتفاعل في المجال الاجتماعي حتى يكون فاعلا لا بد أن تكون لديه القدرة على إنتاج معاني جديدة وفق نموذج ثقافي ما للمجال ويعمل على توزيعها في هذا المجال ، إلا أن الأفراد المتواجدين في هذا المجال الاجتماعي لا يحتكمون كلهم إلى خاصية الإنتاج و التوزيع ومن هنا يتشكل ترتيب اجتماعي بين الأفراد المتفاعلين في هذا المجال الاجتماعي ،بحيث يمكن أن يكون هناك فرد منتج و افراد غير منتجين ، فبعد فهمنا لأفعال الفرد و مستوى السلطة التي يمتلكها أو لا يمتلكها في المجال الاجتماعي نطرح السؤال لماذا هو موجود في هذه الوضعية في مجال التفاعل محل الدراسة ولماذا يعمل على انتاج وتوزيع المعاني أو لا يعمل على انتاجها أو توزيعها فالسببية في مقاربة الهوية و المجالات الاجتماعية تأتي بعد مرحلتي الفهم و التأويل ،لتصل في التفسير الى طرح السؤال لماذا يتصرف الأفراد المتفاعلين بهذا الفعل ،بمعنى إذا كان الفرد له سلطة الإنتاج و ليس له سلطة التوزيع ،فإننا كباحثين نطرح التساؤل لماذا تخلى هذا الفرد عن سلطة التوزيع و إذا كانت له سلطة الإنتاج و التوزيع نطرح لماذا يحتكر الإنتاج و التوزيع (الهيمنة) لماذا يهيمن في المجال الذي هو موجود فيه ،فالتفسير في هذه المقاربة يهدف إلى الوصول إلى السبب الذي يؤدي بالفرد إلى أن يقوم بهذه الممارسة أو بهذا الفعل دون غيره وعليه ، فالسببية في مقاربتنا ليست مجرد علاقة آلية بين متغيرين بل هي عملية بناء تمر بمراحل و كل مرحلة ترتبط منطقيا بسابقتها وتشتغل باليات ذهنية ترتبط في مراحلها الأولى بفهم المعاني التي تحكم تفاعلات الأفراد في المجالات الاجتماعية لتصل إلى تأويل هذه المعاني أي الكشف عن أطر المعنى العميقة لتمكين الباحث من تفسيرها تفسيرا علميا عن طريق جهاز مفاهيمي وبالتالي ، فالمعيار الذي نحكم به على الأفراد المتفاعلين في هذا المجال هو معيار الإنتاج والتوزيع و الاستهلاك وهنا نريد أن نفهم بمعنى هل الفرد يعمل على إنتاج وتوزيع المعاني وبالتالي يكون فردا فاعلا في المجال أو أنه يكتفي فقط بالتوزيع دون الإنتاج أو إنتاج دون توزيع أم أنه لا ينتج ولا يوزع و يستهلك فقط إلى آخره انطلاقا من ثلاثة مؤشرات و هي :

1 .إنتاج المعاني للمجال الاجتماعي

2.توزيع المعاني في المجال الاجتماعي

3.استهلاك المعاني في المجال الاجتماعي

و هذه المؤشرات الثلاثة تظهر في الحالات التالية :

1. **فرد ينتج و يوزع و لا يستهلك معاني المجال:** وهو الفرد الذي يعمل على إنتاج و توزيع قيم مجال اجتماعي حامل لنموذج ثقافي آخر، مغاير للمجال الاجتماعي الذي ينتج ويوزع فيه المعاني هذا الفرد فاعل يريد أن يغير في قيم النموذج الثقافي وعليه فان مفهوم التغير من وجهة نظرنا هو : " العملية التي يعمل فيها الفرد على انتاج و توزيع قيم و معاني مجال اجتماعي حامل لنموذج ثقافي مغاير لنموذجه الثقافي فيصبح المجال الاجتماعي في تتشكل قيم و معاني مغايرة للنموذج السابق وعملية التغيير تنتهي في هذا المجال عندما تصبح هذه المعاني مشكلة لنموذج يعمل على انتاجه و اعادة انتاجه جميع الأطراف المتفاعلة في هذا المجال (بن عيسى محمد المهدي) .

2. **فرد ينتج و يوزع و يستهلك هذا الفرد** يعمل على اعادة إنتاج معاني هذا المجال الذي شكله و هذا لضمان استمرارية هذا النموذج .

3. فرد لا ينتج و لا يوزع و يستهلك : وهو الفرد الذي يعمل على اعادة انتاح الي لمعاني النموذج الثقافي لهذا المجال لأنه واقع تحت سلطة حتمية المجال الذي يتفاعل فيه بتبعية تامة له ،هذا الفرد مغترب للنموذج الثقافي لهذا المجال و عليه فان الاغتراب " " **الحالة التي تمارس على الفرد الحتميات و العوائق التي تمنعه من تحقيق مشروعه " (بن عيسى محمد المهدي)**

4. **فرد ينتج و لا يوزع** : وهو الفرد المنتج للمعاني في المجال و لكن لا يمتلك القدرة على التوزيع لسبب ما فعملية التوزيع في المجال توكل لموزع أو موزع آخرين و بالتالي نطرح السؤال السلطة في المجال هي للمنتج أو للموزع أو لمن و هنا على الباحث في الميدان هو الذي يبحث عنها .

5. **فرد لا ينتج و لا يوزع و لا يستهلك** : وهو الفرد الذي يتفاعل كملاحظ في مجال التفاعل بمدة و شدة تفاعل ضعيفة

2.المجال الاجتماعي بكامله و المعيار الذي نحكم به على هذا المجال :

فيما يخص هذه العلاقة بين المجال بكامله والنموذج الثقافي بكل ما يتضمنه من أفعال و تفاعلات و المعاني التي تؤطره وما ينتج عن ذلك من هوية جماعية تميز هذا المجال ،هنا على الباحث أن يفسر لماذا هذه الهوية الجماعية لهذا المجال الاجتماعي تشكلت بهذه الطريقة و لماذا هذه الهوية الجماعية لا تتجه إلى إنتاج الفعل الذي يتجه إلى إنتاج الفعل الحضاري بمفهوم مالك بن نبي الذي ينطلق من وجود **الفعالية the efficiency** والتي تبنى على أساس مبدأين أساسيين هما :

أولا : فهم الصعوبات التي تواجهنا في صورة مشكلات متنوعة .

ثانيا : ترتيب المشكلات ترتيبا منطقيا حسب درجتها و أهميتها لمعرفة قيمة كل نوع من هذه المشكلات

و من هذين المبدأين يتجه الإنسان نحو بناء الفعالية التي تتحقق بوجود الفكرة لدى الإنسان وهذه الأخيرة تنطلق من رؤية يشكلها هذا الإنسان حول التاريخ و الأحداث و العوائق التي تحيط به وتعترضه ،فالفعالية هنا تقتضي أن يحدد الإنسان موقفا في التاريخ ، بحيث يصوغ هذه العوائق والمشكلات صياغة فكرية و يتخذ موقفا منها بعد ترتيبها ،بحيث يحدد الإنسان موقعه في التاريخ فيصبح هو الذي يوجه هذه المشكلات و ليس هي من يوجهه و عليه **فمقياس الفعالية بالنسبة للإنسان تتجلى في قدرته على صياغة الواقع المطروح أمامه صياغة فكرية واضحة و مواجهته بإنتاج معاني حوله أي تحديد رؤية واضحة تحدد طبيعة تفاعلاته مع هذه المشكلات قصد تحديد موقف منها** و التي تنتج أفعالا أمام العوائق التي تطرحها تنتهي به إلى التغيير و هذا ما يسميه بمنتوج الحضارة أي حصيلة ما أنتجه الإنسان أو المجتمع الذي يحرك ويصنع التاريخ هو بدوره منتوج التوتر الذي أنتجته العوائق أمام الإنسان ، كما أن الفعالية تتطلب أن يحتكم الإنسان إلى نموذج محدد (مالك بن نبي 1991 ص 128)

اذن لا بد أن و عليه على الباحث أن يكون واعيا و فاهما للتوجه الحضاري و المعاني التي **نحكم و نفسر هذا الفعل الجماعي و هذه الهوية الجماعية هل هي متجهة لتحقيق الفعل الحضاري والتاريخي أم أنه منصرف عن هذا الفعل و**

مغترب في تحقيق أشياء أخرى تتناقض مع هذا الفعل ،تحكم المجتمع الذي ينتمي إليه هذا المجال الاجتماعي محل الدراسة و على الذات الفاهمة أن تكون على اطلاع كبير على السياقات التاريخية والاجتماعية التي تشكل الوعاء الحامل لمعاني النموذج المثالي لمجتمع ما حتى تستطيع أن تحكم على أفعال الأفراد و تفاعلاتهم ،لأنه كما رأينا سابقا أي تفاعل اجتماعي جزئي مهما كان جزئيا و بسيطا هو في الوقت نفسه منتمي إلى كل مجتمعي ،تاريخي لان الجزئية و اللحظية ليست منفصلة عن هذا الكل المجتمعي ،فهذه الجزئية وليدة كل سياق اجتماعي تؤثر و تتأثر به ،بمعنى أن الحكم لا يكون معياريا منطلق من ذاتية الملاحظ سواء كان باحث أو ملاحظ و إنما يكون انطلاقا من فهم المعاني التي تحكم السياق التاريخي و الاجتماعي المتواجد الذي ينتمي إليه هذا المجال الاجتماعي الجزئي وبذلك تتحقق الإمكانية الموضوعية والكفاية السببية من منظور ماكس فيبر .

كما رأينا سابقا أن المعيار الذي يحكم به علماء الاجتماع على الفعل و التفاعلات و الممارسات الاجتماعية عند الفرد أو الأفراد أو الجماعة هو يختلف باختلاف التوجهات النظرية ،فالوظيفية كما رأينا تحكم على الفعل و التفاعلات انطلاقا من المطابقة أو عدم المطابقة مع معايير النسق الماركسية تحكم على الفعل من خلال الممارسة الواعية المنتجة للتغير من عدمه ،في حين أن ماكس فيبر المعيار الذي يحكم به على الفعل هو معيار نموذج المماثلة مع النموذج المثالي الذي يحكم هذا الفعل التاريخي الخ .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بالنسبة لنا ما هو المعيار الذي نحكم به على الفعل و التفاعلات التي تتم في المجالات الاجتماعية و النماذج الثقافية التي تؤطره ؟ لان اختيار هذا المعيار يترتب عليه تصنيف و توجه نظري للباحث لان الباحث مهما كان موضوعيا في العلوم الاجتماعية فلا يمكنه أن ينفلت من الانتماء النظري و بالاختيارات التي يومن بها ،

فإذا فسر هذا الباحث موضوع فهمه أفعال و تفاعلات المبحوث على أنها غير مطابقة ومنحرفة عن النمط الاجتماعي فلا يمكن أن يكون إلا وظيفيا و إذا حكم على ممارساته التي يقوم بها المبحوثين على أنها ممارسات غير واعية وغير منتجة للتغير الاجتماعي فلا يمكن أن يكون إلا ماركسيا .

الخلاصة

انطلاقا مما سبق تحليله و تفكيكه فان مقاربة الهوية و المجالات الاجتماعية التي تقوم منهجيا على تطبيق المنهج الكيفي هي مقاربة تتجاوز في تحليلها النمطية المنهجية المبنية مسبقا من طرف الباحث التي تجعل هذا الأخير مقيدا بإجراءات منهجية محددة ،بحيث أنها تقوم على الإبداع العلمي للباحث الذي يتنافى مع الحتميات المختلفة ،فتسمح بتفكيك الواقع الاجتماعي في جميع مستوياته و درجاته وتقوم بالأساس على مراحل تبدأ من الفهم كعملية ذهنية تقوم على توليد المعاني من طرف الباحث ، هذه المعاني التي يفتك و يستخرج بها الباحث المعرفة من المبحوث و ينتج حولها فهما تأويليا مزدوجا للمعاني التي تحكم النموذج الثقافي للمجال الاجتماعي أولا وفهما ثاني لأفعال و تفاعلات المبحوث في هذا المجال لتنتقل إلى مرحلة أخرى هي مرحلة تأويل مضمون هذه المعرفة التي أنتج حولها الباحث فهما علميا للمعاني التي تحكم الأفعال و التفاعلات في المجال الاجتماعي و عملية التأويل ليست عملية ميكانيكية بقدر ما هي عملية **قوامها الوعي العلمي** الذي يتجاوز فيه الباحث **الاغتراب العلمي غير الواعي** للتراث السوسيولوجي و العوائق التي يمكن أن تعترضه أثناء عملية التأويل السوسيولوجي ، **فالتأويل في مقاربة الهوية من خصائصه انه يقوم على الوعي العلمي الذي يتلازم بالضرورة مع الاغتراب الواعي** للباحث ويتحقق ذلك **بالنقد العلمي الذي يقوم على القطيعة النظرية والابستمولوجية** بتجاوز التأويل العلمي الذي يقوم على الحتميات و يتنافى مع التغير الذي يتميز بع الواقع الاجتماعي في ديناميات ،بعد تأويل المعرفة التي يفهمها الباحث في هذه المقاربة يتجه إلى مرحلة التفسير و هي المرحلة التي يحكم فيها على طبيعة الفعل من خلال إيجاد معيار محدد يفسر به مضمون الفهم و التأويل في المعرفة الخام المستقاة من المبحوث ، الهدف من التفسير في هذه المقاربة

الحكم على طبيعة المعاني التي توجه الأفعال والتفاعلات لتنتج معرفة علمية حول طبيعة العلاقة بين الفرد و مجاله الاجتماعي و النموذج الثقافي الذي يحكم هذا المجال و ايجاد أسباب وجود الأفراد في وضعيات معينة و لماذا تنتج هذه الوضعيات المختلفة للأفراد المتفاعلين في المجالات الاجتماعية ممارسات و أفعال ذات مضامين تحمل معاني متعددة فتؤثر على هوياتهم في المجالات الاجتماعية فـ**السببية في مقاربة الهوية ليست عملية آلية بل هي عملية ديناميكية تبدأ من الفهم عن طريق التأويل لتنتهي إلى التفسير** وهو الحكم النهائي على الفعل وتفسير الواقع الاجتماعي كما فهمه الباحث وهنا تتجلى علمية هذه المقاربة .

- الإحالات والمراجع :

1. ابرهيم مصطفي إبراهيم (2001) **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم** ،الإسكندرية- مصر: دار الوفاء لدنيا الباعة و النشر ص 47-48

2. بن عيسى محمد المهدي (2013) **من أجل سوسيولوجيا الاتصال، الإذاعة المحلية في الجزائر ذات أو موضوع** ؟ مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة ورقلة العدد العاشر /مارس

3. بن عيسى محمد المهدي ، بغدادي خيرة (**2018**) **المنهج الكيفي ،الفهم و التأويل بين الفلسفة و علم الاجتماع** ، مجلة الباحث العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة ورقلة العدد 33 **/مارس**

4. محمد ايت بود (2017) ، **اشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية** ww.arabgeographers.net/vb/threads/arab3304

5. جميل حمداوي **علم الاجتماع بين الفهم و التفسير** ، شبكة الالوكة **www.alukah.net غني ناصر حسين القريشي**

6. النموذج المثالي للبيروقراطية عند ماكس فيبر الكلية كلية الآداب القسم قسم الاجتماع المرحلةPM 9:09:42 5/25/2011 4

7. حسن الساعاتي (1981) **علم الاجتماع الخلدوني قواعد المنهج** ،دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت، لبنان

8. لزهر عقيبي (2012) **جدلية الفهم و التفسير في فلسفة بول ريكور** ، دار لامان ،الرباط ط 2

9.علي عبود المحمداوي ،اسماعيل مهنانة ، **فلسفة التأويل المخاض و التأسيس و التحولات** ،دار الروافد الثقافية –ناشرون ط1 ،2013

10. عمار بلحسن (1986) **انتلجانسيا ام مثقفون في الجزائر ؟ !!** ، دار الحداثة للطباعة و النشر ،بيروت ط الأولى ،1986

11. مالك بن نبي (1991) **تأملات** ، دار الفكر للطباعة ، دمشق ،الطبعة الخامسة

12. مصطفى عبد المجيد كاره 1987) **السجن كمؤسسة اجتماعية (دراسة عن ظاهرة العود)** المركز العربي للدراسات الأمنية و التدريب بالرياض ،السعودية ، ص 73

13- ANTHONY GIDDENS **New Rules of Sociological Method** Second Edition 1993

14-Alain Touraine (1978) **Théorie et pratique d'une sociologie de l'action** , sociologie et société vol .10 ,N 2 ,1978,p 149-188 .Montréal : les presses de l'université de Montréal

15- Karl, Marx(1964) **Economic and Philosophic manuscrits** f 1844. Translated by Martin Milligan, international publishers, New York.

16-arc LENORMAND et Anthony MANICKI, « **La critique philosophique en action : Marx critique de Hegel dans l'Introduction générale à la critique de l'économie** politique(1857) », Tracés. Revue de Sciences humaines [En ligne], 13 | 2007, mis en ligne le 22 janvier 2009, consulté le 03 août 2017. URL : http://traces.revues.org/309 ; DOI : 10.4000/traces.309

17-Jacques Coenen-Huther **Le type idéal comme instrument de la recherche sociologique**
Dans Revue française de sociologie 2003/3 (Vol. 44), pages 531 à 547

18-JUIGNET, Patrick. **Karl Popper et les critères de la scientificité. In: Philosophie, science et société [en ligne]. 2015. Disponible à l'adresse : https://philosciences.com/philosophie-et-science/methode-scientifique-paradigme-scientifique/112-karl-popper-et-les-criteres-de-la-scientificite.**

19-julien Freund Sociologie de max weber , Presses universitaires de France Vendôme, Impr. des P.U.F 1992

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

بن عيسى محمد المهدي، بغدادي خيرة ، (2019)، **المنهج الكيفي ا ا : الفهم ، التأويل و التفسير في مقاربة الهوية والمجالات الاجتماعية** ، مجلة الباحث في العلوم الانسانية و الاجتماعية ، المجلد 11(04)/ 2019، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (ص.ص 251-264)